Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأقام الأمير محمد عليه الحراس خوفًا من هربه، وأرسل إلى الخليفة الناصر يذكر له أمره ويسأله رأيه فيه، فأرسل إليه جنودًا ساقوه فى الأغلال إلى بغداد. واستتابه الناصر، فتاب، وخلع عليه وخلّى سبيله. ويردّد ابن المقرب ذكر هذه الوقعة فى مدائحه للأمير محمد من مثل قوله:

ولما أتتْ أهلُ الشآم يقودُها ... إليه الرَّدَى قَوْدَ الجَنيبِ لراكبِ
سعيدٌ ومسعودٌ ورَهْطُ حديثةٍ ... يُسِيرون جُرْدَ الخَيْل بين النجائب
أتاهم يجوبُ البيدَ بالخيل والقَنا ... فتىً عَبْدَلىٌّ فى الوَغَى غيرُ هائب
فلم يُنْجهم إلّا الفرارُ وجيرةٌ ... أتتْ منه ما فيها معابٌ لعائب
ومالَ أميرُ المؤمنين بودِّه ... إليه وسَمَّاهُ زعيمَ الأعاربِ
حمى البرَّ من حدِّ العراق فحازَهُ ... إلى الشام واستولى على كلِّ ناعب

ودانت عرب نجد جميعًا بالولاءِ للأمير محمد من دياره إلى مكة والمدينة، ومن العراق إلى الشام، ولم يعد هناك من يقطع الطريق على الحجاج ولا من يعبث بالأمن، وسارت القوافل من عُمان إلى حلب ومن بغداد إلى مكة دون حاجة إلى خفارة، وهو حدث مهم ومأترة عظيمة.

ولولا ابن المقرب وديوانه ما عرفنا أعمال هذا الأمير وما كفله للجزيرة العربية فى أيامه من أمن ما بعده أمن، وهو أمن شمل الحجاج إلى بيت الله الحرام، فلم يعودوا يُنْهَبون ولا يُسلبون أموالهم وأزوادهم، ولم تعد السيوف والرماح تنوشهم وتُهْدر دماءهم. ومن العجب العجاب أن هذا الأمير العظيم يأتمر به بعض أهله فى سنة ٦٠٣ للهجرة، إذ قُدِّر له أن يُغْوى ابنُ عمه غرير بن الحسن بن شكر راشدَ بن عميرة على اغتياله نظير أخذه لجميع أمواله وذخائره، أما الإمارة فتكون لغرير. وتمت المؤامرة وقُتل الأمير غيلةً، وبكتْه إمارته طويلاً، وأنَّ ابن المقرَّب وأعول بمثل قوله:

لتبْكِ العُلا والمجدُ والبأسُ والنَّدى ... لقد صَلَّ واديها وجفَّتْ مَسَايلُهْ
وتندُبه البِيضُ الصوارمُ والقَنا ... لِما أنْهلتْها كفُّه وأناملُهْ
لعمرى لئن كان الأمير محمَّدٌ ... قضى وأصيبتْ يومَ نَحْسٍ مقاتلُهْ